سينما

«إميليا بيريز» للفرنسي جاك أوديار

براعة سينمائية في مقاربة ما لا يعرفه

جديد جاك أوديار يؤكّد تمكّنه من معاينة مواضيع بعيدة عنه ثقافياً وسينمائياً، ويعكس متانة قيادته فرق عمل مختصّة بأنواع لم يشتغلها سابقاً

محمد هاشم عبد السلام

في «إميليا بيريز» (2023)، صَنَعَ الفرنسي جاك أوديار (1952) شيئاً جديداً مليئاً بالحيوية والتأثير، وحَلّق عالياً بفيلم صاخب بمنتهى الهدوء والحذق. أمر كهذا ليس سهلاً، إذْ يواجه صعاباً ومجازفات، ويتطلّب معالجات سينمائية مختلفة، بمستويات عدّة، من دون اتكاءٍ على تجارب سابقة له، باستثناء ما راكمه من خبرة، وما امتلكه من موهبة.

في أكثر من مستوى، قَطَعَ أوديار في جديده هذا خطوات شاسعة. خاض في سينما غير سينماه، تخشى الغالبية خوضاً فيها، حتى إنتاجياً. ذهب إلى بلدٍ غير بلده، وإلى لغةٍ غير لغته: المكسيك ولغتها الإسبانية، وأبطال مكسيكيون لا يعرفهم، وموضوع بعيد عنه كلّياً كأوروبي. عصابات مخدرات وجريمة. صحيحٌ أنّه أخرج فيلماً (Les Freres Sisters، 2018) بإنكليزية الغرب الأميركي، مُصوّراً الوسترن في قلب أميركا. لكنّ الإنكليزية لغة عالمية، وصُنع الفيلم بنظام الاستوديو، مع نجوم معروفين. لذا، لا تحدّيات ضخمة، كما في «إميليا بيريز». بعيداً عن مشاكل السيطرة على عائق اللغة، واختيار وتوجيه وتدريب ممثّلين ومجاميع بلغة أخرى، رغم تعامله مع أصنافٍ شتّى من الممثلين، محترفين وغير محترفين، ذوي جنسيات مختلفة (عرب وآسيويون وأميركيون وفرنسيون)، إلا أنّ تحديات كبرى تواجهه، تتعلّق بطبيعة النوع السينمائي نفسه.

لا يؤدّي الممثلون أداءً عادياً، بل دراما غنائية راقصة. هناك تحدّيات إخراجية أمامه، مُتعلّقة بأنّه غير مُتمرّس في هذا النوع، وهناك ضرورة قصوى يفرضها هذا النوع: كوريغرافيا يُفترض بها أنْ تتّسم بالحداثة والجذب والتشويق، وجعلها تخدم البناء الدرامي وتطوّر الأحداث، لا إعاقتها. هذا يستلزم الاستعانة بمواهب استثنائية: براعة في كتابة كلمات أغانٍ ممتعة وسريعة ومرحة، ومن له قدرة على التحكم في مجاميع تمثّل وترقص وتغنّي، في سياق درامي مُقنع للغاية، لا سيما أنّه يتناول الجريمة والعصابات والمافيا والقتل والعنف وتقطيع الأوصال. هناك حاجة أيضاً إلى مُصوّر يبرز كلّ هذا المجهود، ويصنعه بصرياً كما يريده مايسترو العمل. النتيجة النهائية: هناك صعوبة في تصديق أنّ هذا الفرنسي يُخرج، لأوّل مرة، دراما غنائية مافيوية شبه استعراضية، كأنّه مُتخصّص بهذا النوع تحديداً.

لا يؤدّي الممثلون أداءً عادياً بل دراما غنائية راقصة

ربما يأخذ البعض على «إميليا بيريز» تقديم حبكة خطية تقليدية، مواضيع وشخصيات وتطوّراً وخطوطاً فرعية، وإنْ لم يكن الفيلم هكذا إلى حدّ بعيد. هناك صعوبة التكهّن بالأحداث وسيرها وردود أفعال الشخصيات. هذا ينسحب على جوانب أخرى، كما على أفكار مطروحة، رغم بعض النمطية. لكنّ الفيلم إجمالاً ليس سطحيّاً، خاصة شخصية إميليا المثيرة. لم يطغَ شقّه الموسيقي على توازن الطرح والأفكار وعمقهما. لذا، يمكن تأكيد أنّه فيلم عصابات تأمّلي ونفسي ووجودي، بكثير من الإثارة والتشويق والتسلية، والمُتعة أولاً. تفاصيل كثيرة تعكس مدى الجهد المبذول من أوديار لإنجاز فيلم رائع وممتع. يكفي أنّه، في 130 دقيقة، لا يوجد شعور أنّه خليط سينمائي مُفتعل أو زائف أو غير مُتجانس، أو يشوبه نقص.

عادة، يهتمّ أوديار كثيراً بالموسيقى التصويرية، وعدد منها عالقٌ في الذاكرة، كموسيقى ألكسندر ديبلا في Les Freres Sisters. في جديده، تزداد الجرعة، فتبلغ 12 فقرة غنائية راقصة متنوّعة الكلمات والمواضيع والأداء الغنائي، وتصميم الرقصات وتنفيذها، للممثلات والمجاميع. تأكيد إضافي على تحليقه الإبداعي المتكامل، ينعكس في توظيفه البصري المبدع، ودمجه الساحر للديكور والملابس والألوان المختارة، وتناغمها معاً باعتناء، خاصة في الفقرات الغنائية، فتشكّل لوحات فنية وجمالية ودرامية مبهجة، تخدم النص، لا تقتحمه ولا تكون مفتعلة ومحشورة لمجرّد رغبة المخرج في ذلك. الأهمّ، إدراكه الماهر لتوقيت بدايتها بغتة، فتُفاجئ؛ وتوقيت الانتهاء من دون استئذان، فيُدهش توقّفها.

المحامية الشابة ريتا تُعاني توتراً مفرطاً وتقليلاً من قيمتها، وأموراً أخرى غير مُنصفة في حياتها المهنية. تتلقّى عرضاً مشبوهاً من عميل لا تعرفه. بحذر شديد، لتجنّب اغتيال محتمل، تلتقي أكبر زعيم مافيا مكسيكي، يُدعى مانيتاس ريتا (كارلا صوفيا غاسكون، المثلة استثنائية الأداء، والمتحوّلة جنسياً في الواقع). يُخبرها عن سبب استدعائها، ويغريها بأموال كثيرة، ويُهدّدها في مقابل سرّية مطلقة لتنفيذ طلبه: «أريد التحوّل إلى امرأة»، لا لخشيته من الشرطة، أو لإخفاء هويته الإجرامية، بل لرغبة دفينة فيه، نفسية وبيولوجية، تتملّكه وتسيطر عليه، رغم قوّته وسلطته وأمواله، وحياة زوجية سعيدة، وامرأة شهوانية جميلة يحبّها بجنون، جيسي (سيلينا غوميز)، وأولاد يعشقهم.

تقبل المهمة، وتبحث عن أطباء تغيير الجنس في العالم، فيوافق أحدهم وتتمّ الأمور وفقاً لمخطّط مانيتاس، أو إميليا بيريز. نقطة قوية تتمثّل بالرقّة التي عالج بها أوديار تحوّل إميليا، من دموع السعادة المتسرّبة من وجهها المُضمّد، إلى التمكّن من النطق باسمها الجديد بصوت عالٍ، والتدرّب على التعريف بنفسها، وعدم الغرق في موضوع التحوّل الجنسي.

غاسكون وأوديار في «كانّ 2024»: جائزتا التمثيل ولجنة التحكيم
(ستفان كارديناللي/Getty)

أفلام جديدة

■ Hyphen: الوثائقي الأول لرين رزوق (الملف الصحافي) يروي حكاية شابّة، صديقتها وجارتها وإحدى قريباتها، تعاني أهوال جحيم تعيشه سنين مديدة، بسبب إدمانها على مخدّرات مختلفة، وترافق رحلة الخروج من هذا الجحيم، مع تنبيهٍ قاسٍ وواقعيّ إلى أحوال بلدٍ وتراكمات حربه الأهلية وآثارها، وإلى علاقات عائلية، ومصائب سلطة ذكورية تتمثّل بأشكالٍ عدّة، أبرزها وأعنفها ماثلٌ برجال شُرطة وأمن.

■ «لد» لرامي يونس وساره إيما فريدلاند: وثائقي يتضمّن مشاهد تحريك بديعة، يتناول حكاية المدينة الفلسطينية المحتلّة «اللّد» منذ ما قبل نكبة 1948 إلى راهنٍ مفتوح على مزيدٍ من خراب ومواجع. مجزرة تحصل في جامع زمن النكبة، وأقوال جنود إسرائيليين مشاركين فيها، وأبناء المدينة يستعيدون تفاصيل إجبارهم على دفن الجثث بعد المجزرة رغم صِغر أعمارهم حينها. الممثلة الفلسطينية ميساء عبد الهادي (WireImage) ستكون صوت المدينة الذي يروي حكايتها.

■ «فقط البحر بيننا» لخالدية عامر علي (الملف الصحافي) ومرح محمد الخطيب وكارولي باوتيستا بيزارو وكريستي كاوبر سيلفانو: مخرجتان سوريتان من مخيم الزعتري (الأردن)، ومخرجتان من أصول شيبيبو . كونيبو (ليما . بيرو)، يُصوّرن يومياتهن عبر الحدود، ويتواصلن فيما بينهنّ عبر اتصالات وصُور، فيروين أربع قصص شخصية عميقة، تتناول الأمومة والهجرة وقوّة المقاومة، شخصياً ومجتمعياً.

■ «سمر... قبل آخر صورة» (فيسبوك) لآية الله يوسف: بين القاهرة ودبي، تحاول سمر إعادة بناء حياتها، بعد تعرّضها لاعتداءٍ بالحامض من شريكٍ سابقٍ لحياتها. يُصوِّر الفيلم خمسة أعوامٍ من رحلة الشفاء النفسي والجسدي، عبر مساعدة امرأة أخرى، تعرّضت هي أيضاً لاعتداء مماثل قبل وقتٍ طويل.

■ «أنتم، أيها المراهقون» لفاليري مُرجان (Getty): مراهقون لبنانيون من مناطق مختلفة (طرابلس وصيدا والهرمل)، ذوو خلفيات متنوّعة، يعبّرون عن أنفسهم، ويتأمّلون في مستقبلهم ورغباتهم ومخاوفهم وقدوتهم وارتباطاتهم بالعائلة والسياسة والذكريات. يتحدّثون بصراحة الأطفال ومرحهم، لكنْ أيضاً بنضج البالغين. يطرح الوثائقي القصير هذا (49 دقيقة) أسئلة بسيطة ومفتوحة، ليرسم صورة حميمة عن شباب لبنانيين في راهنٍ مضطرب.

«مهرجان طرابلس للأفلام» بدورته الـ11

تحيةٌ إلى فلسطين ومواجهةٌ جديدة للتحدّيات

بيروت ـ العربي الجديد

بعد أقلّ من عام بقليل على احتفاله بدورته العاشرة (21 . 29 سبتمبر/ أيلول 2023)، التي تحوّلت إلى نوعٍ من استعادة تجربة وقراءة راهن ومعاينة كيفية الاستمرار في تنظيم دورات جديدة، رغم التحدّيات كلّها، وبعض تلك التحدّيات صعبٌ في بلدٍ (لبنان) مرتبك ومُصاب بأعطاب شتّى؛ أعلنت إدارة «مهرجان طرابلس للأفلام»، في الأول من أغسطس/ آب 2024، البرنامج السينمائي المتعلّق بالدورة الـ11، المُقامة في المدينة اللبنانية طرابلس (شمالي لبنان) بين 19 و25 سبتمبر/ أيلول 2024.

وإذْ اعتُبِرت الدورة العاشرة تلك لحظة اختبار بين ما يُفترض بهما أنْ يكونا مرحلتين اثنتين في سيرة المهرجان (ما قبل تلك الدورة وما بعدها)، تُكمِل إحداهما الأخرى بأن تكون الأولى تأسيساً للثانية، والثانية امتداداً تجديدياً للأولى؛ فإنّ الدورة المقبلة تؤكّد معنى مواجهة تلك التحدّيات، في مدينةٍ مُنع فيها قبل شهرين «مهرجان كابريوليه للأفلام»، في 7 يونيو/ حزيران 2024 (العربي الجديد، 12 يونيو/ حزيران 2024). في مناسبة الدورة الجديدة، أصدرت الإدارة بياناً يقول «إنّ تعزيز التضامن والدعم لصنّاع السينما يعكس روح التعاون، الإنساني . الثقافي، الذي يمثّل جزءاً مهمّاً من تلاحم المجتمع الفنّي في منطقتنا شرق الأوسطية»، مُضيفاً أنّ المهرجان «منبرٌ للتضامن، وتعزيز الفن السابع، ونشر قيم الثقافة». بعد تعبيره عن تضامنه ودعمه الكامِلَين لـ«صنّاع الأفلام في الجنوب، وما بعد الجنوب . فلسطين المحتلّة»، وتقديره «التحدّيات التي يواجهها هؤلاء، وتثمين جهودهم «في تقديم الفنّ والابتكار، رغم الظروف الصعبة»، شدّد البيان على تأييده العميق «استمرار تنظيم وإقامة المهرجانات السينمائية في المنطقة، التي تُقدِّم، بإخلاصٍ وجهد، الأعمال الفنية»، مُعبِّراً عن ثقة المهرجان «بقدرات القائمين على التنظيم على إلهام الجماهير، وإيصال رسائلهم بشكل واقعي وجذّاب، رغم كلّ التحدّيات التي يواجهونها»، لا سيما تلك المتعلّقة بتحديد مواعيد إقامة المهرجانات، غالباً.

«يرقة» لميشيل ونويل كسرواني: راهنٌ يستعيد ماضياً (الملف الصحافي)

مهرجان سينمائي يُقاوم تحدّيات جمّة ويصنع فسحة أملٍ

وبعد إرساله تحايا عدّة إلى المساهمين في صُنع سينما عربية «في ظلّ هذه الأحداث»، أكّد «مهرجان طرابلس للأفلام» تضامنه الكامل مع فلسطين: «من القدس إلى رام الله، ومن حيفا إلى غزة: تحية وسلام».

من ناحية أخرى، أشار البيان إلى أنّ الأفلام المختارة لدورته الجديدة هذه «تحمل رسالة أمل وصمود»، و«تعكس الحقيقة الصعبة التي يعيشها لبنان وفلسطين»، متمنيّاً للمشاركين جميعهم في «هذا الحدث الثقافي المميّز دوام النجاح والإبداع في مسيرتهم الفنية». يُذكر أنّ هناك نحو 50 فيلماً مشاركاً في المسابقة الرسمية، مُنجزة بفضل إنتاج مشترك بين نحو 20 بلداً عربياً وأجنبياً، بينها ستة أفلام روائية قصيرة عربية: «عذر أجمل من ذنب» (البحرين) لهاشم شرف، و«الأجسام أقرب مما تبدو عليه» (مصر) لأحمد صبحي، و«البنجري» (عُمان) لموسى ناصر الكندي، و«مادونا» (مصر) لجون فريد، و«سكون» (الأردن) لدينا ناصر، و«نِيَة» (الجزائر) لإيمان العيادي؛ وخمسة أفلام روائية قصيرة لبنانية: «يرقة» لميشيل ونويل كسرواني (العربي الجديد، 17 فبراير/ شباط 2023)، و«بتتذكّري» لداليا نملیش (العربي الجديد، 5 يناير/ كانون الثاني 2024)، و«صورة» لرحمة ريشوني، و Sea Salt لليلى بسمة، وAbort Mission لأوسيان زهرة.

إليها، هناك ثمانية أفلام تحريك، وعشرة أفلام روائية طويلة، وسبعة أفلام وثائقية، و13 فيلماً قصيراً أجنبياً. أمّا النشاطات المرافقة للعروض فسيُعلن عنها قريباً.